

أطلنطس (ATLANTIS)

القارة المفقودة !

للدكتور محمد عوض محمد

في زعم طائفة من الكتاب أن المحيط الأطلسي الشبالي لم يكن في جميع العصور بحراً خالواً ، بل كانت تحتله قارة عظيمة تصل ما بين العالم القديم والعالم الجديد . وهذا الزعم هو ما نريد أن نعرض له في هذا المقال .

من أهم ما يمتاز به المحيط الأطلسي — في وقتنا هذا — ، أنه قليل الجزر . فإذا صرفنا النظر عن الجزائر الملاصقة للسواحل ، عما يعدده الجغرافيون جزءاً متمماً للقارات ، فإن هذا المحيط عبارة عن مساحة هائلة من الماء ، ليس فيها من الجزر سوى الشيء القليل جداً .

هذه حالة المحيط اليوم ، لكن هذه لم تكن حالة المحيط في كل عصر وزمن . فإن تعاقب الماء واليابس على الجزء الواحد من سطح الأرض ، من الحقائق الجيولوجية المسلم بها . وليس هنالك خلاف في أن أمريكا الشمالية كانت متصلة بأوروبا ، وأمريكا الجنوبية بأفريقية في زمن جيولوجي قديم .

غير أن القائلين بوجود جزيرة عظيمة أو عدة جزر كبيرة في وسط المحيط الأطلسي ما بين ما هو اليوم أمريكا ، وبين ما هو اليوم أوروبا وأفريقية ، أطلقوا عليها اسم قارة اطلنطس — هؤلاء الكتاب يزعمون أن هذه القارة لم تكن موجودة في زمن جيولوجي قديم ، يرجع إلى ملايين السنين ، بل إلى عهد حديث جداً ، عهد نشأة الإنسان واستعماره لسطح الأرض . ولقد يسرف بعضهم فيزعم أن هذه (القارة) كانت موجودة قبل العصر التاريخي ، بحيث كان المصريون القدماء يعلمون من أدها الشيء الكثير .

من المهم إذن أن نقرر أن الاتصال بين شرق المحيط وغربه في زمن جيولوجي قديم ، ليس موضع البحث ، وليس هو بالامر الذي يعني به هؤلاء الكتاب ، بل الذي يعنيهم وجود اليابس في هذه المساحة العظيمة التي لا نرى فيها اليوم سوى الماء ، وذلك في عصر

على عدة منها ، ونثبت من جهة أخرى في غرناطة حرب أهلية لم تكن بعيدة عن وحي أبي عبد الله وحرز به ، وقامت (اليازين) صاحبة غرناطة بدعوته ، وشغل ملك غرناطة (أبو عبد الله الزغل) باخماد الثورة عن مقاتلة النصارى . وفي نفس هذه الآونة العصبية أطلق فرديناند سراح أبي عبد الله بعد أن ارتضى عقد المهادنة التي عرضت عليه مع تعديل يسير في بعض نصوصها ، وبعد لقاء تم بين المسلمين في قرطبة أعلن فيه أبو عبد الله خضوعه وطرأته لملك قشتالة ، واتفق أن تكون المدينة لعامين وأن تطبق في جميع الانحاء التي تدين بالطاعة لأبي عبد الله . وظهر أبو عبد الله يث دعوته في الانحاء الشرقية والحرب الأهلية قائمة في غرناطة (اراثر سنة ٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م) وبدأت المفاوضات بينه وبين عمه (ملك غرناطة) في الصلح . ولكن حدث أثناء ذلك أن هاجم النصارى مدينة لوشة جنوب غربي غرناطة واستولوا عليها (جمادى الأولى سنة ٨٩١ هـ) وكان موقف أبي عبد الله أثناء هذه الحوادث مريباً ؛ وكان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة لملك قشتالة ، ويشيد بمزايا الصلح المقفود معه ، ولم يكن خافياً أنه يستظل بمظاهرة النصارى (١) وفي شوال سنة ٨٩١ ظهر أبو عبد الله في (اليازين) فجأة واجتمع حوله أنصاره ، وأعلن الثورة على عمه ؛ ونشبت بينهما الحرب في ظاهر غرناطة ، وأمد فرديناند حليفه أبا عبد الله بالجند والذخائر والمزئ . واستمر القتال بينهما مدى أشهر . وفي ربيع الثاني سنة ٨٩٢ (١٤٨٧ م) سير فرديناند قواته إلى بلش مالقة (فياز مالاجا) الواقعة على مقربة من ثغر مالقة لفتحتها تمهيداً للاستيلاء على مالقة ، وأدرك أبو عبد الله الزغل أهمية بلش الحربية فهرع إلى الدفاع عنها مع بعض قواته ، وترك البعض الآخر لقتال أبي عبد الله وأهل اليازين ولكن إقسام الزغل وعزمه وشجاعته لم تنف شيئا ، وسقطت بلش في يد النصارى (جمادى الأولى ٨٩٢ - أبريل ١٤٨٧) وءاد الزغل مجتده فيما صوب غرناطة ، ولكنه علم أثناء مسيره أن غرناطة قامت أثناء غيابه بدعوة أبي عبد الله ، وأنه دخلها وتبوأ العرش مكانه (جمادى الأولى) ، فارتد بصحبه إلى وادي آش واستمعها ، وانقسمت بذلك مملكة غرناطة الصغيرة إلى شطرين يترصد كل منهما بالآخر : غرناطة وأعمالها ومحكمها أبو عبد الله محمد ، ووادى آش وأعمالها ومحكمها عمه أبو عبد الله الزغل ، وتحقق بذلك ما كان يتوخاه ملك قشتالة من تمزيق شمل البقية الباقية من دولة الاسلام بالاندلس تمهيداً للقضاء عليها .

(١) راجع اخبار الدهر ص ٢٢ و ٢٣ — والعنبري ج ٢ ص ٦١٢

وهذه القارة العظيمة كانت عرضة للزلازل العنيفة والبراكين
الثائرة ، فلم تلبث أن أخذتها الرجفة فهبطت تحت سطح الماء
واختفت . وذلك قبل عهد صولون بنحو تسعة آلاف من السنين !
هذه هي القصة التي ذكرها أفلاطون قتيلا عن أحد أجداده .
وليس هنالك ما يثبت أن هذه القصة قد رواها صولون حقيقة ،
وأنها ليست من اختراع أفلاطون نفسه . وعلى كل حال ، وأيا كان
مصدر هذه القصة ، فإن مجرد روايتها على هذه الصورة ، لا يفيد
الباحث عن أمر هذه القارة شيئا .

إن اختفاء جزيرة صغيرة تحت سطح الماء بسبب هبوط في
قشرة الأرض ليس بالشئ المستغرب ، وقد يكون اليونان أنفسهم
قد شهدوا مثل هذا الحادث في بلادهم الكثيرة للزلازل ، وهذا وحده
كاف لاذن يوحى إليهم بأن جزيرة قد وجدت ثم اختفت في وسط المحيط ،
ولهذا فإن أكثر الباحثين لم يكن يرى في حديث هذه القارة أكثر
من أنه أسطورة جميلة . غير أن كثيرا مما كان يراه العلماء بمجرد
أساطير قد أثبت البحث العلمي وجوده . وقد أخذ الباحثون يهتمون
حديثا بتحقيق أمر هذه القارة .

إن هبوط جزء عظيم من سطح الأرض واختفاء تحت سطح
الماء ليس بشئ بدعا في الحوادث الجيولوجية الطويلة المدى ، التي تستغرق
عشرات الملايين من السنين . وكذلك ليس بعجيب أن تختفي جزيرة
صغيرة تحت الماء في زمن وجيز بسبب حادث بركاني خطير . لكن
الامر الذي يصعب تصوره هو أن كتلة هائلة من اليابس تهبط
نحو ثلاثة آلاف متر في زمن يسير وجزءا جذا بالنسبة الى
ما يستدعيه مثل هذا الانقلاب الخطير في سطح الأرض . وبالطبع
ليس اثبات هذا الامر بالشئ السهل ، لأن أكثر الأدلة مقبورة
تحت غبار البحار ، في أعماق يصعب جداً الوصول إليها .

ولنتظر الآن في الأدلة التي يدلي بها القائلون بصحة هذه الأسطورة .
لعل أول جهة يجب أن يتجه إليها البحث أن تتساءل : هل في
قاع المحيط الأطلسي أو في جزء من قاعه ما يدل على أن هذا القاع
أو هذا الجزء من القاع كان أرضا ظاهرة فوق سطح الماء في زمن
حديث يقدر بنحو عشرة آلاف من السنين ؟ وهل في السواحل
للشريق والغربية للمحيط ما يدل على أنها كانت إلى وقت قريب متصلة ؟
يجب أن نجيب أو أن نحاول الإجابة على هذين السؤالين .
ولكن يجب علينا أن نحذر فلا نخلط بين الاتصال الجيولوجي القديم ،

حديث شهده الانسان في أول نشأته .

والآن تتساءل : هل هناك من شاهد على صحة ما ذهب إليه
أولئك الكتاب ؟

قبل أن نعرض لآراء أصحاب هذا المذهب يحسن بنا أن
نكون على حذر من أمرين : أولهما أن وجود هذه القارة
أمر يرتاح إليه الخيال البشري المولع دائما بالغريب المدهش
من المسائل العلمية : وكثير من الكتاب في هذا الموضوع
يبدأون بنهم وفي نفوسهم رغبة في أن يثبتوا وجود هذه القارة
المزعومة . كالتقاضى الذي يبدأ بتحقيق الحادث وفي قلبه رغبة في أن
تثبت التهمة على المتهمين . وهذا الرغبة قد تصنع الأدلة الضعيفة
بصفة قوية . وتحمل الباحث على التخلي عن مراطن الضعف فيما
يعرض له من الحجج .

الامر الثاني الذي يجب أن نخذره ، هو أن وجود مثل هذه
القارة أمر مرغوب فيه جداً من الوجهة العلمية . . . لأنها تصبح
مرجعاً نرجع إليه في كثير من المسائل التي صعب علينا فهمها أو
تحليلها . فإذا رأينا مثلاً في أوروبا أو في افريقية شعباً أو جماعة
لا نعرف لها مصدراً ، أمكننا أن نقول بكل بساطة إنها بقية
من سكان القارة المفقودة — فالرغبة في التخلص من بعض المسائل
العويصة قد تجعلنا في اشتياق لأن نعلم بوجود هذه القارة المزعومة
وأن نقبل من أجل هذا كثيراً من الاقتراحات الواهية الضعيفة .

إن أول من ذكر قارة أطلنطس فيما بين أيدينا من الكتب
هو أفلاطون . فقد حكى في كتابه (طيمائوس) رواية عن أحد
أجداده أن صولون حكيم اليونان الأشهر لما قدم الى مصر ،
وتحدث إلى كاهن من كهنتها ، أخبره هذا الكاهن أنه كان في المحيط
الأطلسي إلى غرب عمودي الهرقل (بوغلاجيل طارق) جزيرة
عظيمة تزيد في الحجم على ليوة (افريقية) وآسيا الصغرى معاً .
وأنها كانت عاصمة يسكنها شعب قوى ذو بأس وصولة ، استطاع
أن يسطر سلطانه على جميع قارة أطلنطس وعلى ما جاورها من
الأقطار في افريقية وأوروبا . وأن سلطان هؤلاء (الأطلنطين)
قد امتد حتى بلغ الى مصر وبلاد اليونان . غير أن اليونان استطاعوا
أن يردوهم على أعقابهم .

وبين الاتصال الحديث بواسطة قارة أطلنطس المزعومة.

من المعلوم أن قاع المحيطات ليس أرضاً مستوية، بل فيه المرتفعات والمنخفضات والسهول والجبال. وقد أصبح ثابتاً أن في وسط المحيط الأطلنطى سلسلة جبال طويلة جداً تمتد من شماله إلى جنوبه، وفي بعض المواضع تظهر طاقة من قم هذه السلسلة فوق سطح الماء. فتألف منها جزر مثل جزر الأزور (Azores) في الشمال وجزيرة الصعود (Ascension) في الوسط. وجزيرة (ترستان دا كنها) Tristan da Cunha في الجنوب. وفي زعم القائلين بوجود القارة المفقودة أن جزر الأزور هي البقية الباقية منها. وأن الجزر الأوسط من المحيط الأطلنطى قليل العمق لأنه هبط حديثاً.

كذلك يشير أصحاب هذا الرأي إلى التشابه العظيم بين السواحل الشرقية والغربية للمحيط الأطلنطى، مما يدل على اتصال الساحلين في زمن قديم. وليس من شك في هذا التشابه، لكنه يرجع إلى اتصال في الأزمنة الجيولوجية القديمة. ولا فائدة لأنصار هذا الرأي من الرجوع إلى هذا الدليل الذي لا يفيدهم في قضيتهم شيئاً.

أما الأبحاث الخاصة بقاع المحيط الأطلنطى، والتي أريد بها إثبات أن هذا القاع كان إلى وقت قريب بارزاً فوق سطح الماء، فهي - على قصورها - أقوى البراهين - أو على كل حال أقبلها ضعفاً - التي يدل بها القائلون بوجود هذه القارة العظيمة.

وخلاصة هذا الدليل أنه في عام ١٨٩٨ كانت إحدى السفن تبحث عن سلك تليفرافي قد انقطع في وسط المحيط الأطلنطى، وفي أثناء بحثها عن هذا السلك كانت تستخرج من قاع البحر قطعاً من الطين والصخر، وقد خصت هذه المواد فنيين أنها مما تحفره البراكين النائرة، وأن هذه الصخور البركانية كانت مادة منصهرة ذاتية ثم تجمدت وكان تجمدها فوق سطح الأرض لا تحت سطح الماء كما هي حالها اليوم. وذلك لأن حمم البراكين (اللافا) إذا تجمدت في الماء.

والنتيجة التي يراد الوصول إليها من هذا، هي بالبيع أن هذه البراكين هي براكين قارة أطلنطس وأن هذه اللافا قد تجمدت على سطح القارة المفقودة قبل أن تنحني تحت عباب الماء. ولكن لا بد لنا للوصول إلى هذه النتيجة الخطيرة من أن نثبت أن هذا الجزء من قاع المحيط الأطلنطى الذي استخرجت منه هذه المواد قد كان في وقت حديث - أي منذ نحو اثني عشر ألف سنة - بارزاً

فوق سطح الأرض.

ولأثبت هذا الأمر يقول بعض الكتاب أنه في نظر كثير من الجيولوجيين لا يمكن اللافا أن تبقى تحت سطح الماء أكثر من ١٥٠٠٠ سنة، لأنه في هذه المدة تتحلل عناصرها تماماً فلا يبقى لها أثر. إذن فاللافا التي استخرجت من قاع المحيط والتي ثبت أنها قد تجمدت فوق سطح الأرض. لا بد أن تكون قد عمرتها المياه حديثاً - أي أن هبوط القاع حدث في وقت حديث لا يتجاوز الحجة عشر ألف سنة.

هذه من غير شك أقوى حجة طبيعية يستند إليها القائلون بوجود قارة أطلنطس، ولكنها للأسف لا تتحلل من شيء من الضعف. ذلك أنه - على فرض أن ماء البحر يحلل اللافا ويذيب عناصرها في مدة لا تتجاوز الحجة عشر ألف عام - يجب أن نذكر أن اللافا عادة تتراكم طبقات بعضها فوق بعض، ذات غلظ عظيم. وقد يتحلل الجزء الأعلى ويبقى الجزء الأسفل والذي يليه وهكذا. ولا بد لها من مئات أو آلاف الأزمنة التي ذكرت قبلاً - لكي يتم تحللها جميعاً.

فهذه الحجة إذن - وإن لم تحل من قوة - فإنها لا تثبت إثباتاً قاطعاً سوى أن قاع المحيط الأطلنطى في بعض جهاته كان يوماً ما قطعة بارزة من اليابس ثم هبط تحت سطح الماء. ولا زلنا في حاجة إلى دليل أقوى من هذا يثبت لنا أن هذا الهبوط كان منذ زمن حديث مقدّر بعشرة آلاف من السنين.

كذلك التشابه الذي يشاهد اليوم بين أنواع من الحيوان في شرق المحيط وغربه، دليل على وجود قارة أطلنطس، بل على اتصال قديم جداً في أزمنة جيولوجية غابرة بين طرفي المحيط شرقاً وغرباً.

فالأدلة الطبيعية قليلة الغناء. ولا يبقى بعد هذا سوى الأدلة البشرية أو الأنثروبولوجية، أي التي تتصل بالإنسان بحثها أصولها أو دينها أو تقاليد أو ما شابه ذلك.

وتتلخص هذه الأدلة البشرية فيما يأتي :
١ - أنه قد ظهر في أوروبا أثناء العصر الحجري القديم جنس من الناس طوال التامة عظام الهامة جسان الصورة في وقت لم يكن فيه بأوروبا سوى جماعات من جنس ذئب صفات منخلة دنيئة. وقد أطلق العلماء على هذا الجنس العظيم اسم جنس «كرومانيون»

الشعر والفرس.

يتمتع قليل من الناس باحساس راق مهذب ، يفعل انفعالا قويا حينما يشهدون جمال الطبيعة أو يتأملون أسرارها ، وهذا الاحساس السامي لا يصلون إليه من كثرة القراءة والاطلاع ، ولا من كثرة الحفظ والاستظهار ، ولا من تأبط الدواوين والكتب ، وإنما إنهم من تدريب إحساساتهم وتمربتها على التأثر بجمال الطبيعة والتأمل فيما يعمرها من أسرار ، ويشرق عليها من نظم ، وما يزالون يدربون إحساساتهم ، ويمتهدونها بالقرن ، حتى إذا أوفوا من ذلك على الغاية ، وضائق قلوبهم عن حين ما يجيش فيها من عواطف راسللات ، اضطروا اضطراراً إلى اخراج هذا الفيض القلبي متدفقا في هذه الايام الجميلة التي نسميها فنا ، من موسيقى ورسم ونحت وعمارة وشعر ، وما أشبه قلوب هؤلاء الناس بالبورصة الصالحة ترد إليها أشعة الاحساسات الصادرة عن صور الطبيعة المختلفة ، فتحلل فيها ، ثم تنعكس فكرا جميلة ، وصورا بديعة ، وسرعان ما يجد الفنان نفسه مضطرا إلى ابرازها واظهارها لأنه لا يستطيع أن يؤويه في نفسه ، ولا يمكنه أن يخفيها في زوايا قلبه ، فيقدمها للناس في هذه الثياب الساحرة ، ثياب الفن الجميل فتسرعى ألبابهم ، وتستهوئ أفئدتهم .

إليها في القول بأن تلك الاشياء المشتركة مصدرها واحد وهو هذه القارة المفقودة ، التي انطلق منها فريق إلى الشرق وآخر إلى الغرب فنتشروا آراءهم وعقائدهم وآلهتهم في عالمين بينهما الآن آلاف من الاميال .

وهكذا يرى القارى أن فكرة قارة اطلنطس لا تزال مفتقرة إلى دليل أقوى بما بايدينا اليوم ، ولكننا على كل حال يجب أن نرتاح إلى أن موضوعها أصبح اليوم معرضا للبحث العلمي بالاساليب العلمية بعد أن كان مجالا للظن والخيال . ولهذا يسرنا ، أن نسمع الخبر الذي رواه أحد الكتاب في عدد الشهر الحال من مجلة فوربتل من أن بعثة ألمانية قد سافرت حديثا إلى إقليم جزر الأزور لتفتش في قاع البحر عن أدلة جديدة عن هذه القارة المفقودة . محمد عرض محمد .

Cro — Magnon (نسبة إلى ساحية في فرنسا وجدت بها هياكل عظيمة كاملة لأفراد من هذا الجنس) . ولا يعرف أحد على وجه التحقيق من أين جاء هذا الجنس ، الذي ظهر في أوروبا فجأة فأحدث في ثقافتها ثورة هائلة .

والآن يريد أصحاب قارة اطلنطس أن يخبرونا أن هذا الجنس إنما جاء من قارتهم المفقودة !

افترض جميل سيخلصنا من مشكلة عويصة وهي نشأة هذا الجنس الذي لا نعرف تماما أين نشأ ! ولكن هل من العقل أن نتخلص من مشكلة لكي نقع في مشكلة أعظم منها ؟

إن القائمين بأن هذا الجنس مصدره القارة المفقودة يزعمون أن هنالك شبا ينسب زيين جنس قديم منقرض وجدت بقاياها في البرازيل . وهذا الزعم لو صح لكان من غير شك حجة قوية لا تدحض ، ولكن أكثر علماء الأجناس لا يرى مطلقا وجه شبه بين هذا الجنس البرازيلي القديم الذي وجدت بقاياها في لاجواسانتا وبين جنس « كرومانيون » .

٢ — في أوروبا شغل اسم شعب الباسك Bosque يعيش على حدود فرنسا وأسبانيا . في الاقليم الملاصق لخليج غسقونية . هذا الشعب القديم يعيش شطره في فرنسا وشطره في أسبانيا ويتكلم لغة ليس لها نظير في لغات العالم كلها . وفي زعم أصحاب نظرية القارة المفقودة أن الباسك هم بقية الاطلانطيين الذين هاجروا من قارتهم إلى أوروبا قبل الميلاد بعشرة آلاف سنة . وأن لغتهم تشبه لغات سكان أمريكا الأصليين بينما هي تختلف عن سائر لغات أوروبا .

وهذه الحجة البراهنة لا تستند هي أيضا على أساس متين ، لأن لغة الباسك لا تزال عقدة العقد . وقد رأى فقهاء اللغات فيها آراء متناقضة متضاربة ، ولم يبلغ العلم في أمرها إلى حل مقبول . وليس القول بأنها تشبه لغات أمريكا بأقوى من الرأي الذي يرى شبا بينها وبين لغات البربر في إفريقية ولغة المصريين القدماء .

٣ — أما الأدلة البشرية الأخرى التي يوردها أنصار قارة اطلنطس ، فتتعرض في وجود تشابه حقيق أو مفهوم بين بعض العقائد الدينية والعادات والتقاليد والآلهة في العالمين القديم والجديد ، ويجرد ذكر هذه الامور كاف لأن يثبت للقارى . أن هذه الادلة ليست بالشئ الذي يسهل الزكون إليه ، ولا يستطيع أن تستند